قيام الراكعات الساجدات

أما لك بالرجال أسوة أتسبقك وأنت رجل نسوة

سنقص عليك طرفاً من ذكر العابدات المتهجدات الراكعات الساجدات اللاتى أضناهن طول القيام لَعَلّ عزائم الرجال تستيقظ فينا

كذاك الفخرُ ياهممَ الرجالِ تَعَالىْ فانظرى كيف التعالى

ويزين المقال ذكر أمهات المؤمنين زوجات رسول الله ﷺ ، فقد كان ﷺ يوقظهن لصلاة الليل .

أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى الله عنها :

فى الصحيحين عن عائشة أن رسول الله ﷺ بشّر خديجة ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب . وعن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « **أتانى جبريل فقال يا رسول الله هذه خديجة أتتك ومعها إناء فيه طعام وشراب فإذا هى أتتك فاقرأ عليها من ربها السلام ومنى** » وهى رضى الله عنها أول من آمن بالله من الرجال والنساء كما قال الزهرى وقتادة عبد الله بن محمد بن عقيل وإسحاق وجماعة من العلماء .

نزلت على الرسول ﷺ وهى معه آيات سورة المزمل............يأمر الله عز وجل نبيه بقيام الليل فقام وقامت معه وقام الصحابة اثنا عشر شهراً حتى انتفخت أرجلهم ثم نزل التخفيف فى نهاية السورة .. آمنت برسالة زوجها ﷺ حين كفر الناس وصدّقته إذ كذّبه الناس .. حتى يتوجها ربها بنزول ملك الوحى جبريل لرسول الله ﷺ قائلاً له « **اقرأ خديجة من ربها السلام** » قالت عائشة : ماتت قبل أن تفرض الصلاة يعنى قبل أن يعرج بالنبى ﷺ .

أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق : عائشة بنت أبى بكر رضى الله عنها :

قال القاسم : «**كانت عائشة تصوم الدهر**»[1] .

وعنه قال : «**كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة رضى الله عنها ، فأسَلِّم عليها ، فغدوت يومًا فإذا هى قائمة تسبح ، وتقرأ : ﴿فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم﴾ وتدعو وتبكى وترددها ، فقمت حتى مللت القيام ، فذهبت إلى السوق لحاجتى ، ثم رجعت ، فإذا هى قائمة كما هى تصلى وتبكى**»[2] .. إذا كانت هذا نهارها فكيف تكون إذا جنّ الليل .. يكفى من قيامها ما قاله ابن عباس عنها وشهادته تاج فوق جبينها : « أعلم الناس بوتر رسول الله ﷺ » أعلم الناس بليل رسول الله ﷺ وقيامه .. تقصه وتوضحه لأهل الأرض جميعًا .. فهل يأتى علمها من نومها أم من يقظتها وقيامها رضى الله عنها . وإذا كان رسول الله ﷺ سيد العابدين فالصديقة العالمة بليله وقيامه ووتره سيدة المتهجدات .

أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنها :

عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « **قال جبريل : راجع حفصة فإنّها صوّامة قوّامة** »[3] .

- وعن نافع قال : ماتت حفصة حتى ما تفطر[4] .

---

(١) « الإجابة » للزركشى ص ٦٧ .

(٢) « السمط الثمين » ص ٩٠ .

(٣) حسن : أخرجه الحاكم فى المستدرك عن أنس وعن قيس بن زيد ، وأبو نعيم فى الحلية عن عمار ابن ياسر ، وأبو نعيم فى الحلية والحاكم فى المستدرك عن قيس بن زيد مرسلاً ، وابن سعد عن قيس مرسلاً وحسّنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم « ٤٢٢٧ » .

(٤) أخرجه ابن سعد بسند صحيح كما قال ابن حجر فى الإصابة جـ٤ ص ٢٧٣ .

وأى شهادة أعظم من شهادة المولى عز وجلّ وجبريل لابنة الفاروق بأنها صوّامة قوّامة ..

انظر رحمك الله كيف كان تهجد حفصة رضى الله عنها وصيامها سببًا لإبقائها زوجًا لرسول ﷺ فى الدنيا والآخرة . وكيف لا تكون قوّامة وهى بنت أبيها ولله در من قال :

وهل ينبت الخطىّ إلا وشيجهُ ويزرع إلا فى منابته النخلُ

قيام أم المؤمنين : زينب بنت جحش رضى الله عنها .

فى الإصابة قالت عنها عائشة عند موتها : لقد ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل . ومن حديث أم سلمة بسند موصول فيه الواقدى أنها ذكرت زينب فترحمت عليها وقالت : وكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معجبة وكانت يستكثر منها[1] . وكانت صالحة صوامة قوامة صناعًا تصدق بذلك كله على المساكين . وعند البخارى : دخل النبى ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال ما هذا الحبل ؟ قالوا : هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت فقال النبى ﷺ : « **لا حُلُّوه ، ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد** »[2] رضى الله عنك أم المؤمنين يا من زوّجك الله من فوق سبع سماوات .

قيام أم الصهباء معاذة بنت عبد الله العدوية زوجة صلة بن أشيم :

كانت رحمها الله تلميذة لعائشة رضى الله عنها فبوركت بصحبتها لأم المؤمنين .

---

(١) الإصابة لابن حجر .

(٢) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى كتاب التهجد .

• كانت رحمها الله تصلى الليل الطويل ، فكانت تكلّ الرجال وهى لا تكلّ[1] .

• لمّا أهديت معاذة العدوية إلى زوجها صلة بن أشيم أدخله ابن أخيه الحمام ، ثم أدخله بيتاً مطيّباً ، فقام يصلى حتى أصبح ، وفعلت معاذة كذلك ، فلما أصبح عاتبه ابن أخيه على فِعْلِه ، فقال له : إنك أدخلتنى بيتاً أذكرتنى به النار ، ثم أدخلتنى بيتاً أذكرتنى به الجنة فما زالت فكرتى فيهما حتى أصبحت[2]

رحمكم الله أهل بيت علت بهم هممهم .. أى كلام يترجم فعلهم .. امرأة تحيي الليل كله ليلة بنائها .. فما بال النسوة فى زماننا هذا جهلن ما علمته الأوّاهة التقية معاذة ،بل ما بال الرجال فى قرننا العشرين

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسائها

• كانت رحمها الله إذا جاء النهار قالت : هذا يومى الذى أموت فيه ، فما تنام حتى تمسى ، وإذا جاء الليل قالت : هذه ليلتى التى أموت فيها فلا تنام حتى تصبح ، وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم[3]

وكانت رحمها الله تحيي الليل صلاةً فإذا غلبها النوم قامت فجالت فى الدار وهى تقول : « يا نفس ، النوم أمامك ، لو قدمت لطالت رقدتك فى القبور على حسرة أو سرور » . وكانت تقول : « عجبت لعين تنام ، وقد عرفت طول الرقاد فى ظلم القبور » .

• وقالت لابنة لها من الرضاع : « يا بنية كونى من لقاء الله على حذر ورجاء ، وإنى رأيت الراجى له محفوفاً بحسن الزلفى لديه يوم يلقاه ، ورأيت

---

(١) تنبيه المغترين ص ١١٧ .
(٢) التخويف من النار لابن رجب الحنبلى ص ٢٣ .
(٣) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٢ ، مختصر قيام الليل ص ٢٦ .

الخائف له مؤملاً للأمان يوم يقوم الناس لرب العالمين » ثم بكت حتى غلبها البكاء .

● وإن تعجب من حالها وتقواها فما تقول فى خبرها هذا الذى يرويه ثابت البنانى يوم أن بلغها نبأ استشهاد زوجها وابنها فأتت النساء يواسينها فى مصابها .

« اجتمعت النساء عند معاذة العدوية فقالت : مرحباً ، إن كنتنّ جئتنّ لتهنئنى فمرحباً بكنّ ، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن » .

يا لجلال الموقف .. أى صنف من النساء أنت منهن أيتها التقية ..

لا عجب يا أخى فقد بوركت عابدتنا بالسهر والتهجد ولقاء أم المؤمنين عائشة والرواية عنها فسمت إلى هذا الموقف الذى يعجز عنه الرجال .

● ولما مات زوجها شهيداً لم توسد فراشاً بعده كما قال الحسن

وقالت لابنتها من الرضاعة : « والله يا بنية ما محبتى للبقاء فى الدنيا للذيذ عيش ، ولا لروْح نسيم ، ولكن والله أحب البقاء لأتقرب إلى ربى عز وجل بالوسائل لعله يجمع بينى وبين أبى الصهباء وولده فى الجنة » .

كفى حـزنـاً أن لا أعـاين بـقـعـة
من الأرض إلاّ ازددت شوقـاً إليـكـمُ
وأنى متى مـا طـاب لى خـفـض عيشة
تـذكـرت أيـامـاً مضت لى لـديـكـمُ

● وقالت عفيرة العابدة عنها : « لما احتضرها الموت بكت ثم ضحكت ، فقيل لها مِمَّ بكيت ثم ضحكت ؟ فممّ البكاء ومِمَّ الضحك ؟ قالت : أما البكاء الذى رأيتم فإنى ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك ، وأما الذى رأيتم من تبسمى وضحكى فإنى نظرت إلى أبى الصهباء قد أقبل فى صحن الدار وعليه حُلتان خضراوان فى نفر والله ما رأيت لهم فى الدنيا شبهاً ،

فضحكت إليه ولا أرانى أدرك بعد ذلك فرضًا . قالت : فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة »[1] .

حفصة بنت سيرين : أمّ الهذيل رحمها الله :

كانت رحمها الله تسرج سراجها من الليل ثم تقوم فى مصلاها فربما طفىء السراج فيضىء لها البيت حتى تصبح ، ومكثت فى مصلاها ثلاثين سنة لا تخرج إلاّ لحاجة أو قائلة ، وكانت تدخل مسجدها فتصلى فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ، ولا تزال فيه حتى يرتفع النهار فتركع ثم تخرج فيكون عند ذلك وضوءها ونومها .

● وكانت رحمها الله تقول : يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب فإنى والله ما رأيت العمل إلا فى الشباب .

وقرأت رحمها الله القرآن وهى بنت ثنتى عشرة سنة ، وكان ابن سيرين إذا أشكل عليه من القرآن شىء قال : اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأه .

● كان الهذيل ابنها يجمع الحطب فى الصيف فيكسره ويأخذ القصب فيفلقه ، فإذا وجدت حفصة أمه بردًا فى الشتاء جاء بالكانون فوضعهُ خلفها ، وهى فى مصلاّها ثم يقعد فيقد بذلك الحطب والقصب وقودًا لا يؤذيها دخانه ويدفئها فمكث كذلك ما شاء الله. قالت حفصة : وعنده ما يكفيه لو أراد ، قالت : فربما أردت أن أنصرف إليه فأقول : يا بنى ارجع إلى أهلك ثم أذكر ما يريد فأدعه ، قالت : فلما مات رزقنى الله عليه من الصبر ما شاء أن يرزقنى ، غير أنى كنت أجد غصة[2] لا تذهب فبينا أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل إذ أتيت على هذه الآية : ﴿**ولاتشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم**

---

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٢ ـ ٢٤.

(٢) حزن .

تعلمون ماعندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزينّ الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ فأعدتها فأذهب الله عنى ما أجد[1]

● وعن هشام بن حسّان قال : اشترت حفصة جارية سِنْدية فقيل لها : كيف رأيت مولاتك ؟ فذكرت كلاماً بالفارسية معناه : إنها امرأة صالحة ، إلاّ أنها أذنبت ذنباً عظيماً فهى الليل كله تبكى وتصلى .

● وقال عبد الكريم بن معاوية : ذُكر لى عن حفصة أنها كانت تقرأ نصف القرآن فى كل ليلة ، وكانت تصوم الدهر وتفطر أيام العيدين والتشريق[2] .

● عن عاصم بن الأحول : كنا ندخل على حفصة بنت سيرين ، وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقبت به فنقول لها : رحمك الله قال الله تعالى : ﴿ **والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة** ﴾ وهو الجلباب ، قال : فتقول لنا : أى شىء بعد ذلك ؟ فنقول : ﴿**وأن يستعففن خير لهن**﴾ فتقول : هو إثبات الجلباب[3] .

وكانت رحمها الله راوية للحديث .

قيام أم الدرداء (الصغرى) هُجيْمة ـ جُهَيْمة ـ بنت حُيَى الأوصابية رحمها الله :

كانت رحمها لله إذا حدّثت بحديث عن زوجها قالت : حدّثنى سيدى ـ يعنى أبا الدرداء ـ .

● عن يونس بن ميسرة قال : كنا نحضر أم الدرداء وتحضرها نساء متعبدات يقمن الليل كله حتى إن أقدامهن قد انتفخت من طول القيام[4]

---

(١) مختصر قيام الليل ص ١٩ ، صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٦ ،

(٣) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٤ .

(٤) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

● عن جبير بن نفير عن أم الدرداء أنها قالت لأبي الدرداء : إنك خطبتني إلى أبويّ في الدنيا فأنكحوني ، وإني أخطبك إلى نفسك في الآخرة ، قال : فلا تنكحي بعدي ، فخطبها معاوية فأخبرته بالذي كان ـ فقال عليك : بالصيام [1] .

ـ وفي رواية أخرى ـ ولست أريد بأبي الدرداء بدلاً [2] .

قيام ابنة أم حسان الأسدية رحمها الله :

عن سفيان الثوري قال : دخلت عليّ بنت أم حسان الأسدية وفي جبهتها مثل ركبة العنز من أثر السجود ، وليس به خفاء .

قال سفيان : وكان إذا جنّ عليها الليل دخلت محراباً لها ، وأغلقت عليها ثم نادت : إلهي خلا كل حبيب بحبيبه ، وأنا خالية بك يا محبوب ، فما كان من سجن تسجن به من عصاك إلا جهنّم ، ولا عذاب إلاّ النار [3] .

قيام رابعة العدوية رحمها الله :

ومن هؤلاء الناسكات رابعة العدوية البصرية ، وكانت مضرب المثل في تَدَلُّه القلب واحتراق الكبد حبّا لله وإيثارًا لرضاه ، وكانت تواصل صيامها وقيامها ، وتتابع زفراتها ، وتدفق عبراتها ، تستقل كل ذلك في جنب الله ، قال يومًا شيخ الزهاد سفيان الثوري وهو عندها : « واحزناه » فقالت : « لا تكذب ! بل قل : واقلة حزناه ، ولو كنت محزونًا لم يتهيأ لك أن تتنفس » .

● قالت عنها أشبه الناس بها في نسكها وعبادتها خادمتها عبدة بنت أبي شوال ـ وكانت من خيار إماء الله : «كانت رابعة تصلي الليل كله ، فإذا طلع الفجر

---

(١) تهذيب التهذيب جـ ٢ ص ٤٦٦ .
(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٩٦ .
(٣) حلية الأولياء جـ ٧ ص ٩ .

هجعت فى مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر . فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهى فزعة : يا نفس كم تنامين . وإلى كم تقومين . يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلاّ لصرخة يوم النشور »[1]

قالت عبدة : وكان هذا دأبها أمد دهرها حتى ماتت ، ولما حضرتها الوفاة دعتنى ، وقالت : « يا عبدة ! لا تؤذنى بموتى أحداً . وكفنينى فى جبتى هذه » ــ وهى جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون.

قال ابن كثير رحمه الله :

« وقد ذكروا لها أحوالاً وأعمالاً صالحة ، وصيام نهار ، وقيام ليل ، ورؤيت لها منامات صالحة ، فالله أعلم » ، وقال أيضاً : « وأثنى عليها أكثر الناس ، وتكلم فيها أبو داود السجستانى ، واتهمها بالزندقة ، فلعله بلغه عنها أمر »[2] .

قيـام عجردة العمية رحمها الله :

قال رجاء بن مسلم العبدى : كنا نكون عند عجردة العَمِية فى الدار فكانت تحيي الليل صلاة . وربما قال : تقوم من أول الليل إلى السحر ، فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزون :

« إليك قطع العابدون دجى الليالى بتكبير الدلج إلى ظُلَمَ الأسحار ، يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك ، فبك إلٓهى لا بغيرك أسألك أن تجعلنى فى أول زمرة السابقين إليك ، وأن ترفعنى إليك فى درجة المقربين ، وأن تلحقنى بعبادك الصالحين فأنت أكرم الكرماء ، وأرحم الرحماء ، وأعظم العظماء ، ياكريم » ثم تخر ساجدة فلا تزال تبكى وتدعو فى سجودها حتى يطلع الفجر

---

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) البداية والنهاية ١٠/١٨٦ ــ ١٨٧ وانظر عودة الحجاب للشيخ محمد بن إسماعيل جـ٢ ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

فكان ذلك دأبها ثلاثين سنة .

● وحدثت آمنة بنت يَعْلى بن سُهَيْل قالت : كانت عجردة العمية تغشانا فتظل عندنا اليوم واليومين ، قالت : فكانت إذا جاء الليل لبست ثيابها وتقنعت ثم قامت إلى المحراب فلا تزال تصلى إلى السحر ثم تجلس فتدعو حتى يطلع الفجر ، فقلت لها ـ أو قال لها بعض الدار لو نمت من الليل شيئًا ، فبكت وقالت : ذكر الموت لا يدعنى أنام(١)

قيام حبيبة العدوية رحمها الله :

● قال عبد الله المكى أبو محمد : كانت حبيبة العدوية إذا صلت العتمة قامت على سطح فشدت عليها درعها وخمارها فقالت : « إلٰهى غارت النجوم ، ونامت العيون ، وغلقت الملوك أبوابها ، وبابك مفتوح ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وهذا مقامى بين يديك » .

ثم تقبل على صلاتها ، فإذا كان السحر قالت : اللهم وهذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر ، فليت شعرى هل قبلت منى ليلتى فأُهَنَّى ، أم رددتها علىَّ فأُعَزَّى ، فوعزتك لهذا دأبى ودأبك أبدًا ما أبقيتنى ، وعزتك لو انتهرتنى مابَرحت عن بابك ، ولا وقع فى قلبى غير جودك وكرمك(٢) .

وكانت تقول : اللهم اغفر لى سوء أدبى فى صلاتى(٣) .

قيـام عفيرة العابدة وليلها :

قيل لها : إنك لا تنامين بالليل فبكت ثم قالت : ربما اشتهيت أن أنام فلا

---

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣١ .

(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٢ .

(٣) تنبيه المغترين ص ١١٦ .

أقدر عليه ، وكيف ينام أو يقدر على النوم من لا ينام حافظاه عنه ليلاً ولا نهاراً[1]

وكانت رحمها الله لا تضع جنبها إلى الأرض فى ليل وتقول : أخاف أن أؤخذ على غرة وأنا نائمة ، وكانت لا تملّ من البكاء فقيل لها : أما تسأمين من كثرة البكاء فقالت : كيف يسأم إنسان من دوائه وشفائه[2] .

• وكانت تقول فى مناجاتها « عصيتك بكل جارحة منى على حدتها ، والله لئن أعنتَ لأطيعنَّك ما استطعتُ بكل جارحة عصيتك بها »[3] .

• وقدم ابن أخ لها طالت غيبته فبُشِّرت به ، فبكت ، فقيل لها : ما هذا البكاء ؟ اليوم يوم فرح وسرور ، فازدادت بكاءً ثم قالت : والله ما أجد للسرور فى قلبى مسكناً مع ذكر الآخرة ، ولقد ذكرنى قدومه يوم القدوم على الله فَمِنْ بين مسرور ومثبور »[3] .

• ودخل عليها قوم فقالوا : ادعى الله لنا . فقالت : « لو خرس الخطّاءون ما تكلمت عجوزكم ، ولكن المحسن أمر المسىء بالدعاء ، جعل الله قراكم من نبق الجنة ، وجعل الموت منى ومنكم على بال ، وحفظ علينا الإيمان إلى الممات وهو أرحم الراحمين »[4]

عمرة امرأة حبيب العجمى :

• انتبهت ليلة وزوجها نائم فأنبهته فى السحر وقالت له : قم يا سيدى [رجل] فقد ذهب الليل وجاء النهار ، وبين يديك طريق بعيد ، وزاد قليل ،

---

(١) مختصر قيام الليل ص ٢٩ .
(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٤ ، تنبيه المغترين ص ١١٦ .
(٣) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٤ .
(٤) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٣ ومختصر قيام الليل ص ٢٩ .

وقوافل الصالحين قد سارتْ قدّامنا ونحن قد بقينا (١) .

جارية خالد الورّاق :

قال خالد الوراق : كانت لى جارية شديدة الإجتهاد فدخلت عليها يوماً فأخبرتها برفق الله وقبوله يسير العمل ، فبكت ثم قالت : يا خالد إنى لأؤمل من الله تعالى آمالاً لو حملتها الجبال لأشفقت من حملها كما ضعفت عن حمل الأمانة ، وإنى لأعلم أن فى كرم الله مستغاثاً لكل مذنب ، ولكن كيف لى بحسرة السباق ؟ قال : قلت : وما حسرة السباق ؟ قالت : «غداة الحشر إذا بعثر ما فى القبور ، وركب الأبرار نجائب الأعمال فاستبقوا إلى الصراط ، وعزة سيدى لا يسبق مقصر مجتهداً أبداً ، ولوْ حبا المجدُّ حَبْواً ، أم كيف لى بموت الحزن والكمد إذا رأيت القوم يتراكضون ، وقد رفعت أعلام المحسنين ، وجاز الصراط المشتاقون ، ووصل إلى الله المحبون ، وخلّفت مع المسيئين المذنبين ؟؟ ثم بكت

انظر يا أخى : إن أريج العبادة ورائحة الظمأ والسهر لتبدو من هذا الكلام .

شعـــوانة رحمها الله :

كانت تترنم بهذين البيتين :

أذرى جـفونك إمّـا كـنت شـاجيـة
إن الـنـيـاحـة قـد تشفى الحزيـنـيـنـا

جـدّى وقـومى وصومى الـدهـر دائـبة
فـإنما الـدّوب من فـعـل المطـيـعـيـنـا

---

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٥ .
(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٤٦ ، ٤٧ .

وكانت تقول : أنبتَّ لكل داءٍ دواءً فى الجبال ، ودواء المحبين فى الجبال لم ينبت .

ولقد بكت حتى خافوا عليها العمى ، فقالوا لها فى ذلك ، فقالت « أعمى والله فى الدنيا من البكاء أحبّ إلىّ من أن أعمى فى الآخرة من النار » .

وكانت تقول : من استطاع منكم أن يبكى ، وإلاّ فليرحم الباكى ، فإن الباكى إنما يبكى لمعرفته بما أتى إلى نفسه .

وكانت تقول : وددت أنى أبكى حتى تنفد دموعى ، ثم أبكى الدماء حتى لا تبقى فى جسدى جارحة فيها قطرة من دم ، وأنىّ لى البكاء[1] ، فلم تزل تردد « وأنىَّ لى البكاء » حتى غشى عليها .

ريحانة رحمها الله :

كانت تقوم أول الليل وتقول :

قام المحب إلى المؤمّل قومةً
كاد الفؤاد من السرور يطيرُ

وفى جوف الليل تقول :

لا تَأْنَسنّ بمن توحشك نظرتُه
فتُمْنَعَنَّ من التَّذكارِ فى الظُّلم
واجهد وكدّ وكن فى الليل ذا شجن
يسقيك كأس وداد العز والكرم

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٥٥ ، ٥٦ .

ثم نادت : واحرَباه وَاَسلباه . فقيل لها ممّ ذا ؟ قالت :

ذهـــب الـــظلام بـــأنســه وبــألــفــه
لــيت الــظلام بــأنســه يــتــجــدّدُ[1]

منيفة بنت أبي طارق :

وكانت بالبحرين ، وكانت رحمها الله إذا هجم عليها الليل قالت : « بخ بخ يا نفسُ قد جاء سرور المؤمن ، فتقوم فى محرابها فكأنها الجذع القائم حتى تصبح.وعن أم عمار بنت مليك البحرانى قالت : بت ليلة عند منيفة ابنة أبى طارق فما زادت على هذه الآية ترددها وتبكى ﴿**وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله؟؟ ومن يعتصم بالله فقد هُدِيَ إلى صراط مستقيم**﴾[2] .

قيام بردة الصريمية وبكاؤها رحمها الله :

كانت بالبصرة ، وكانت تقوم الليل ، فإذا سكنت الحركات وهدأت العيون نادت بصوت لها حزين : هدأت العيون ، وغارت النجوم ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وقد خلوت بك يا محبوبى ، أفتراك تعذبنى وحبك فى قلبى ؟ لا تفعل يا حبيباه[3] .

وكانت تقول : ربما سمعتُ القرآن فأرى مُلك بنى مروان قد حوى لى .

وكانت تبكى حتى يرحمها من رآها ، ولقد بكت حتى ذهب بصرها فلاموها على ذلك فقالت : لو رأيتم بكاء العصاة يوم القيامة لقلتم إن هذا البكاء كاللعب[4] .

---

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٥٧ .
(٢) آل عمران الآية ١٠١ . انظر صفة الصفوة جـ ٤ ص ٧٣ ، ٧٤ .
(٣) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٦ .
(٤) تنبيه المغترين ص ١١٦ .

وكانت تقول للحسن : يا أبا سعيد إنْ أكنْ من أهل الجنة فسيبدلنى الله بصرًا خيرًا من بصرى ، وإنْ أكنْ من أهل النار فأَبْعَدَ الله بصرى .

وكانت إذا قيل لها كيف أصبحت ؟ تقول : « أصبحنا أضيافاً مُنتجعه بأرض غربة ننتظر إجابة الداعى » .

أم طلق رحمها الله :

أمّا أم طلق فكانت تكثر التهجد وتقول : ما ملكت نفسى ما تشتهى منذ جعل الله لى عليها سلطاناً وكانت تقول لابنها طلق : ما أحسن صوتك بالقرآن فليته لا يكون عليك وبالاً يوم القيامة [1] .

أم حيّان السُّلَمِية رحمها الله :

قال أبو خلدة : ما رأيت رجلاً قط ولا امرأة أقوى ولا أصبر على طول القيام من أم حيان السلمية ، إن كانت لتقوم فى مسجد الحى كأنها نخلة تصفقها الرياح يميناً وشمالاً [2] .

وكانت تقرأ القرآن فى يوم وليلة .

حسنة العابدة :

كانت رحمها الله جميلة ، ولقد تركت نعيم الدنيا وأقبلت على العبادة فكانت تصوم النهار وتحيى الليل وليس فى بيتها شىء .

قالت لها امرأة تزوجى فقالت : هات رجلاً زاهداً لا يكلفنى من أمر الدنيا شيئًا ولا أظنك تقدرين عليه ، فوالله ما فى نفسى أن أعبد الدنيا ولا أتنعم مع رجال الدنيا ، فإن وجدت رجلاً يبكى ويُبكينى ، ويصوم ويأمرنى ، ويتصدق

---

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٧ .

(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٨ .

ويحضنى عليها فيها ونعمت ، وإلاّ فعلى الرجال السلام[1] ، رحمها الله أى أنها لا ترغب إلاّ فى الزواج مِمَّنْ يَمَّمَ وجهه صوب الدار الآخرة .

زجلة العابدة مولاة معاوية رحمها الله :

عن سعيد بن عبد العزيز قال : ما بالشام ولا بالعراق أفضل من زجلة .

دخل عليها نفر من القرّاء فكلّموها فى الرفق بنفسها فقالت : مالى وللرفق بها ؟ فإنما هى أيامُ مبادرة . فمنْ فاته اليوم شىء لم يدركه غدًا . والله يا إخوتاه لأصلينّ ما أقلّتنى جوارحى ، ولأصومن له أيام حياتى ، ولأبكين له ما حملت الماء عيناى . ثم قالت : أيّكم يأمر عبده بأمرٍ فيحب أن يقصّر فيه ؟

ولقد قامت رحمها الله حتى أُقعدت ، وصامت رحمها الله حتى اسودّت ، وبكت حتى عمشت ، وكانت تقول : « علمى بنفسى قرّح فؤادى ، وكلم قلبى ، والله لوددت أن الله لم يخلقنى ولم أك شيئًا مذكورًا »[2] وكانت رحمها الله تخرج إلى الساحل فتغسل ثياب المرابطين فى سبيل الله .

غصنة وعالية رحمها الله :

وكانتا من عابدات البصرة .

قال أبو الوليد العبدى : ربما رأيت غصنة وعَالية تقوم إحداهما من الليل فتقرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف فى ركعة[3] .

غنضكـــة رحمها الله :

وهى من عابدات البصرة : وكانت تصلى عامة الليل ، ثم تقول : « أعوذ

(1) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٩ ، ٤٠ .
(2) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٤٠ ، ٤١ .
(3) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٤١ .

بالله من ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » فإذا قضت صلاتها قالت : هذا الجهد منى وعليك التكلان[1] .

إمرأة أبى عمران الجونى رحمها الله :

من عابدات البصرة ، كانت رحمها الله تقوم من الليل تصلى حتى تعصب ساقيها بالخرق ، فيقول لها أبو عمران الجونى : دون هذا يا هذه . فتقول : « هذا عند طول القيام فى الموقف قليل » فيسكت عنها[2] .

جارية عبيد الله بن الحسن العنبرى قاضى البصرة رحمها الله :

قال عبيد الله بن الحسن العنبرى : كانت عندى جارية أعجمية وضيئة وكنتُ بها معجباً ، فكانت ذات ليلة نائمة إلى جنبى ، فانتبهت فلم أجدها ، فالتمستها فإذا هى ساجدة تقول : بحبك لى اغفر لى ، فقلت : يا جارية لا تقولى بحبك لى ، قولى : بحبي لك اغفر لى[3] ، فقالت : يا بطال ، حُبّه لى أخرجنى من الشرك إلى الإسلام ، فأيقظ عينى وأنام عينك . فقلت اذهبي فأنت حرة لوجه الله . فقالت : يا مولاى أسأت إلىّ ، كان لى أجران فصار لى أجر واحد[4] .

الماوردية رحمها الله :

من عابدات البصرة ، كانت عجوزاً صالحة تكتب وتقرأ وتعظ النسوان ، ولم تأكل خبزاً ولا رُطباً ولا تمرًا ، وإنما تطحن لها باقِلاً وتخبز لها خبزاً تقتات به ،

---

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٤٣ .
(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٤٣ .
(٣) دلّها على التوسل المشروع وهو التوسل بالعمل الصالح وترك غيره .
(٤) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٤٦ .

وتأكل التين اليابس دون الرطب ، وتنال من الزيت والعنب واللحم الشيء اليسير ، وظلت خمسين سنة لا تنام من ليلها .

عابـــدة وأيتامها :

وانظر أخي إلى أثر التهجد والعبادة وكيف أنها تورث الزهد فى الدنيا والقناعة والرضا عن الله عز وجل . قال حماد بن سلمة : « ألحّ المطر علينا سنة من السنين ، وفى جوارى امرأة من المتعبدات ، لها بنات أيتام فوكف السقف عليهن فسمعتها تقول : يا رفيق ارفق بى ، فسكن المطر ، فأخذت صرة فيها عشرة دنانير وقرعت بابها ، فقالت : اجعله حماد بن سلمة . فقلت : أنا حمّاد ، سمعتك وقد تأذيت بالمطر فقلت يارفيق ارفق بنا ، فما بلغ من رفقه ؟ قالت : سكّن المطر ، وأدفأ الصبيان ، وجفّ البيت ، قال : فأخرجت الدنانير وقلت انتفعى بها ، فخرجت صبية عليها مدرعة من صوف تستبين خروقها وقالت : ألا تسكت يا حمّاد ، تعترض بيننا وبين ربنا ومولانا ؟ ثم قالت : يا أماه قد علمنا أنّا لما شكونا مولانا أنه سيبعث إلينا بالدنيا ليطردنا عن بابه ، ثم ألصقت خدها بالتراب ثم قالت : أمّا أنا ، وعزتك لا زايلت بابك وإن طردتنى .

ثم قالت : يا حمّاد رُدّ عافاك الله دنانيرك إلى الموضع الذى أخرجتها منه ، فإنا رفعنا حوائجنا إلى مَنْ يقبل الودائع ولا يبخس المعاملين »[1] .

عابـــدة من البصرة :

كانت تقول :

زهـد الـزاهـدونـا والـعـابـدونـا إذ لمولاهـم أجاعـوا الـبـطـونا

---

(١) صفة الصفوة جـ٤ ص٥٠ .

أسهروا الأعين القريحة فيه فمضى ليلهم وهم ساهرونا
حيّرتهم محبّة الله حتى علم الناس أن فيهم جنونا
هُمْ أَلِبّا ذوو عقولٍ ولكن قد شجاهم جميع ما يعرفونا[1]

ماجدة القرشية :

وهى عابدة من قريش وكانت تسكن البحرين . وكانت تقول رحمها الله : لم ينل المطيعون ما نالوا من حلول الجنان ورضا الرحمن إلا بتعب الأبدان لله . والقيام لله بحقه فى المنشط والمكره .

وكانت تقول : كفى المؤمنين طول اهتمامهم بالمعاد شغلاً .

وتقول : طوى أملى طلوع الشمس وغروبها ، فما من حركة تُسمع ولا من قدم توضع إلا ظننت أن الموت فى أثرها .

وكانت تقول : « سكان دار أُوذنوا بالنقلة ، وهم حيارى يركضون فى المهلة كأن المراد غيرهم ، أو التأذين ليس لهم والمعنى بالأمر سواهم . آه من عقول ما أنقصها ، ومن جهالة ما أتمها ، بؤساً لأهل المعاصى .. ماذا غُرّوا به من الإمهال والاستدراج .

وتقول : بسطوا آمالهم فأضاعوا أعمالهم ، ولو نصبوا الآجال وطوّوا الآمال خفّت عليهم الأعمال »[2] .

لبابة العابدة ببيت المقدس رحمها الله :

قالت رحمها الله : ما زلت مجتهدة فى العبادة حتى صرت أستروح بها ، وإذا

---

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٥١ .

(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٧٤ .

تعبت من لقاء الخلق آنسني بذكره ، وإذا أعياني الخلْق روّحني التفرّغ لعبادة الله عز وجل والقيام إلى خدمته[1]

فاطمة بنت عبد الرحمن بن عبد الغفّار الحرّاني رحمها الله :

● وكانت من المصطفيات العابدات في مصر ، وما كانت تنام إلا في مصلاها فوق ستين سنة[2] .

منيرة السدوسيـــة :

وكانت من عابدات العرب وأهل البادية . وكانت تقول إذا جاء الليل : قد جاء الهول قد جاءت الظلمة ، قد جاء الخوف ، ما أشبه هذا بيوم القيامة ثم تقوم فلا تزال تصلي حتى تصبح[3] .

هُنيـــدة رحمها الله :

● وكانت عابدة من أهل البادية ، كانت تقوم إذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه فتوقظ ولدها وزوجها وخدمها فتقول لهم : قوموا فتوضؤا وصلوا ، فستغتبطون بكلامي هذا ، فكان هذا دأبها حتى ماتت ، فرأى زوجها في منامه : إن كنت تحب أن تَزَوَّجها هناك فاخلفها في أهلها بمثل فعلها ، فلم يزل دأب الشيخ حتى مات فأتى أكبر ولده في منامه فقيل له : إن كنت تحب أن تجاور أبويك في درجتهما من الجنة فاخلفهما في أهلهما بمثل عملهما ، قال : فلم يزل دأبه حتى مات ، فكانوا يُدْعون « القوّامين »[4] .

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٥١ .
(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٣١ .
(٣) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٨٨ .
(٤) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٩١ .

البيضاء بنت المفضل :

سألتها أسماء الرملية وكانت عابدة : يا أختى : هل للمحب لله دلائل يعرف بها ؟ قالت : يا أختى ، والمحبُّ للسيد يخفى ! ! ، لو جهد المحب للسيد أن يخفى ماخفىَ ، قالت : صفية لى . قالت : « لو رأيت المحب لله عز وجل لرأيت عجباً عجيباً من والهٍ ما يقرّ على الأرض ، طائر مستوحش ، أُنسه فى الوحدة ، قد مُنِع الراحة طعامه الحب عند الجوع ، وشربه الحب عند الظمأ ؟ لايملّ من طول الخدمة لله تعالى[1] .

أم هـــارون :

قالت رحمها الله : قد أنزلت الدنيا منزلتها ، وكانت تقول : بأبى الليلُ ما أطيبه ، إنى لأغتمّ بالنهار حتى يجئ الليل ، فإذا جاء الليل قمت أوّلهُ ، فإذا جاء السّحر دخل الرّوح قلبى[2] .

رابعة زوجة أحمد بن أبى الحوارى رحمها الله :

قال أحمد : قلت لرابعة وقد قامت بليل : قد رأينا أبا سليمان وتعبّدنا معه ، ما رأينا من يقوم من أول الليل . فقالت : سبحان الله مثلك يتكلم بهذا ؟ إنما أقوم إذا نوديت قال : وجلست آكل وجعلت تذكرنى ، فقلت لها : دَعينا يَهنينا طعامُنا . قالت : ليس أنا وأنت مِمَّنْ يتنغّص عليه الطعام عند ذكر الآخرة .

قال زوجها ريحانة الشام : ربما نظرت إلى وجهها ورقبتها فيتحرك قلبى على رؤيتها مالا يتحرك مع مذاكرتى أصحابنا من أثر العبادة .

---

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٥٠ .

(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٠٣

وقالت لى : لست أحبك حب الأزواج .. إنما أحبك حب الإخوان ، وإنما رغبت فيك رغبة فى خدمتك ، وإنما كنت أحب وأتمنى أن يأكل مِلْكِى ومَالِى مثلك ومثلُ إخوانك . قال أحمد : وكان لها سبعة آلاف درهم فأنفقتها

علىّ ، فكانت إذا طبخت قدراً قالت : كلها يا سيدى فما نضجت إلا بالتسبيح ، وقالت لى : لست أستحل أن أمنعك نفسى[1] وغيرى ، اذهب فتزوّجْ ، قال : فتزوجت ثلاثاً ، وكانت تطعمنى اللحم وتقول : اذهب بقوتك إلى أهلك .

وكانت رحمها الله تقول : « ماسمعت الأذان إلاّ ذكرت منادى القيامة ، ولا رأيت الثلج إلا رأيت تطاير الصّحف ، ولا رأيت جراداً إلا ذكرت الحشر[2] » يا سبحان الله : امرأة تزوج زوجها من مالها ثلاث من النسوة .. ولا تقوم إلاّ إذا نوديت .

لاتقعدان لذكرنا فى ذكرهم   ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

امرأة الهيثم بن جماز :

قال الهيثم : «كانت لى امرأة لاتنام الليل ، وكنت لا أصبر معها على السهر ، فكنت إذا نعست ترشّ علىّ الماء فى أثقل ما أكون من النوم وتنبهنى برجلها وتقول : « أما تستحى من الله . إلى كم هذا الغطيط » فوالله إن كنت لأستحى مما تصنع .

---

(١) لا يفهم من هذا الكلام .. عصيانها لزوجها فهذا ليس من حسن الظن بزوجة تلميذ أحمد بن حنبل ومعنى كلامها والله أعلم « شعورها بتقصيرها فى حق زوجها أو خوفها من أن تكون مقصرة فى حقه ، فزوجته عليها ما مالها ثلاث من النسوة .. والله أعلم » .

(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٠٢ .

جوهرة العابدة البراثية زوج أبى عبدالله البراثى رحمها الله :

قال زوجها : كانت جوهرة تنبهى من الليل وتقول : يا أبا عبد الله قد سارت القافلة .

ورأت فى منامها خياماً مضروبة فقالت : لمن ضُربت هذه الخيام ؟ فقيل للمتهجدين بالقرآن . فكانت بعد ذلك لا تنام[1]

فاطمة بنت بزيع امرأة أبى عثمان :

عن رباح بن الجراح قال : رأيت فاطمة بنت بزيع امرأة أبى عثمان وكانت من العابدات وكانت تصلى أكثر الليل ، ما كنت أنتبه من الليل فأفقد صوتها فى القراءة والصلاة حتى تصلى الصبح بوضوء العتمة[2] .

عابدة : تزوّجت عابدة من العابدات رجلاً فرأته نائماً طوال الليل ، توقظه عدة مرات فى الليل فيتناعس هو ليرى عبادتها فقالت له : « مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم » ليت شعرى مَنْ غرّنى بك ؟

[قال أبو يوسف البزاز : تزوّج رياح القيسى امرأة فبنى بها ، فلما أصبحت قامت إلى عجينها فقال : لو نظرت إلى امرأة تكفيك هذا فقالت : إنما تزوجت رياحًا القيسى ، ولم أرنى تزوجت جبارًا عنيدًا ، فلما كان الليل نام ليختبرها فقامت ربع الليل ، ثم نادته ، قم يا رياح فقال : أقوم ، فقامت الربع الآخر ثم نادته فقالت : قم يا رياح ، فقال أقوم ، فلم يقم فقامت الربع الآخر ، ثم نادته فقالت :

قم يا رياح فقال أقوم ، فقالت : مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم !! ليت شعرى مَنْ غرّنى بك يا رياح .

---

(١) صفة الصفوة جـ ٢ ص ٥٢١ .

(٢) الزهد الكبير للبيهقى ص ٣١٨ .

قال : وقامت الربع الباقى .

قال رياح : ذُكرت لى امرأة فتزوجتها فكانت إذا صلّت العشاء الآخرة تطيبت وتدخنت ولبست ثيابها ثم تأتينى فتقول ألك حاجة ؟ فإن قلت نعم ، كانت معى ، وإن قُلت لا ، قامت فنزعت ثيابها ثم صفت بين قدميها حتى تصبح] [١] .

رياح بن عمرو القيسى وهو من العباد يستصغر نفسه أمام زوجه الصالحة « ذؤابة » .. يتناعس حتى يرى قيامها « يا عبد الله إن الجنس يألفه الجنس إذا كنت طيبًا فلن يقرنك الله إلا بطيب فاطمئن » ، وتأتى نتيجة الامتحان : امتحان ذؤابة من زوجها المبارك رياح « يا ليت شعرى من غرّنى بك يا رياح ؟ » .

فياليت نساءنا يسلكن هذا المسلك فيقلن للرجال : يا ليت شعرنا من غرنا بكم ، من غرنا بك عندما أفسدتنا وما اتقيت الله فينا ، وجعلت بيتنا قطعة من باريس » [٢]

عابدة من بنى عبد القيس :

كانت إذا جاء الليل تحرمت ثم قامت إلى المحراب ، وكانت تقول : « المحب لا يسأم من خدمة حبيبه ، وكانت تقول : « عاملوا الله على قدر نعمه عليكم وإحسانه إليكم ، فإن لم تطيقوا فَعَلَى قدر سَتْرِه ، فإن لم تطيقوا فعلى الحياء منه ، فإن لم تطيقوا فعلى الرجاء لثوابه ، فإن لم تطيقوا فعلى خوف عقابه » [٣]

عابـــــدة :

نظرت عابدة أعرابية إلى فتى حسن الوجه بضّه فقالت : إنى لأرى وجهاً

---

(١) صفة الصفوة ٤٣/٤ ـ ٤٤ .

(٢) انظر إلى شريط قيام الليل للشيخ الطحان وثناؤه على ذؤابة وزوجها رياح .

(٣) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٩١ .

ما غضّنه[1] يبدد وضوء السحر[2] .

عابــدة : قال السرى : بلغنى أن امرأة كانت إذا قامت من الليل قالت : « اللهم إن إبليس عبد من عبيدك ، ناصيته بيدك ، يرانى من حيث لا أراه ، وأنت تراه من حيث لا يراك ، اللهم إنك تقدر على أمره كله ، وهو لا يقدر من أمرك على شيء ، اللهم إن أرادنى بشرٍّ فأَردْه ، وإن كادنى فكده ، أدرأ بك فى نحره ، وأعوذ بك من شره[3] » .

عابــدة : كانت تصلى بالليل لا تستريح وكانت تقول لزوجها : قُمْ ويحك إلى متى تنام ؟ قم يا غافل قم يا بطّال ، إلى متى أنت فى غفلتك ، أقسمت عليك ألا تكسب معيشتك إلا من حلال ، أقسمت عليك أن لا تدخل النار من أجلى ، برَّ أمك ، صل رحمك ، لا تقطعهم فيقطع الله بك[4] .

عابــدة : كانت لا تنام من الليل إلا يسيرًا ، فعوتبت فى ذلك فقالت : « كفى بالموت وطول الرقدة فى القبور للمؤمنين رقادًا » . وكانت تصوم حتى يسودّ وجهها وتقول : « إنما أدور على طول الرىّ والشبع فى الآخرة »[5] .

عابــدة : قالت عابدة لذى النون المصرى : أول المحبة يبعث على الكد الدائم حتى إذا وصلت أرواحهم إلى أعلى الصفا جرّعهم من محبته لذيذ الكئوس[6] .

---

(١) أى : جعّده .

(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٩٥ .

(٣) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٤٤٠ .

(٤) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٤٣٧ .

(٥) صفة الصفوة جـ ٣ ص ١٩٥ .

(٦) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٤٢٩ .

عابـــدة : قال ذو النون المصرى : خرجت ليلة من وادى كنعان ، فلما علوت الوادى إذا سواد مقبل علىّ وهو يقول ﴿ **وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون** ﴾ ويبكى ، فلما قرب منى النسواد إذا هى امرأة عليها جبة صوف . وبيدها ركوة ، فقالت : من أنت ؟ غير فزعة منى ، فقلت : رجل غريب ، فقالت : يا هذا ! وهل يوجد مع الله غربة ؟ قال : فبكيت لقولها فقالت لى : ما الذى أبكاك ؟ فقلت : « قد وقع الدواء على داء قد قرح ، فأحسن فى نجاحه » ، قالت « فإن كنت صادقًا فلم بكيت ؟ » قلت : « يرحمك الله والصادق لا يبكى ؟ » ، قالت : « لا .. إن الصادق لا يبكى لأن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ إليه ، وماكتم القلب شيئًا أحق من الشهيق والزفير ، فإذا أسبلت الدمعة استراح القلب ، وهذا نقص » فسكت متعجبًا من قولها . ثم قالت : اخدم مولاك شوقاً إلى لقائه ، فإن له يومًا يتجلى فيه لأوليائه ، وإنه تعالى سقاهم فى الدنيا من محبته كأسًا لا يظمؤون بعدها أبدًا ثم قالت :

إذا كـان داء الـعـبـد حب مـلـيـكه
فمن دونـه يـرجـو طـبـيـبًا مـداويا ؟[1]

سريـــة العابـــدة :

قال أبو هاشم القرشى : « قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها : « سرية » فنزلت فى بعض ديارنا ، قال : فكنت أسمع لها من الليل أنينًا وشهيقًا ، فقلت يومًا لخادم لى : « أشرف على هذه المرأة ، ماذا تصنع ؟ » ، قال : فأشرف عليها ، فما رآها تصنع شيئًا غير أنها لا ترد طرفها عن السماء وهى مستقبلة القبلة ، تقول : « خلقت سرية ، ثم غذيتها بنعمتك من حال إلى حال ، وكل أحوالك لها حسنة ، وكل بلائك عندها جميل ، وهى مع ذلك

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، عودة الحجاب جـ ٢ ص ٣٠٠ ، تنبيه المغتربين ص ٣٥ .

متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة ، أتراها تظن أنك لا ترى سوء فعالها وأنت عليم خبير ، وأنت على كل شيء قدير »[1] .

فخرية بنت عثمان البصرية :

«كانت من أسرة عريضة الجاه موفورة الغنى ، ولكنّ ذلك كله لم يطب لها ، فخرجت وتزهدت وتنسكت ، وهجرت الراحة والمنام إلى الصلاة والقيام ، وقنعت من العيش برغيف وقدح ماء فذلك قوتها كل يوم .

وكانت أشبه الناس برابعة فى الوحشة من الدنيا والتدله . هاجرت إلى بيت المقدس وأقامت أربعين عاماً تقف الليل كله بباب المسجد الأقصى تصلى حتى يفتح الباب فتكون أول داخل وآخر خارج »[2] .

عبـدة البصريـــة :

وهى امرأة عكفت على العبادة وأفرطت فى السهر وأسرفت فى البكاء حتى كف بصرها .

سمعت قائلاً يقول : « ما أشد العمى على من كان بصيراً » ! فقالت : « يا عبد الله ، عمى القلب عن الله أشد من عمى العين ، وددت أن الله وهب لى كنه محبته ، وأن لم يبق منى جارحة إلا أخذها »[3]

فلو كان النساء كما ذكرنا لفضلت النساء على الرجال

جاريـــة الحسن بن صالح :

كان الحسن بن صالح يقوم الليل هو وجاريته فباعها لقوم فلما صلّت العشاء

---

(١) عودة الحجاب جـ ٢ ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .
(٢) عودة الحجاب جـ ٢ ص ٣٠٤ نقلاً عن المرأة العربية ٩٨/٣ .
(٣) عودة الحجاب جـ ٢ ص ٣٠٣ نقلاً عن « المرأة العربية ٩٧/٣ » .

افتتحت الصلاة فما زالت تصلى إلى الفجر ، وكانت تقول لأهل الدار كل ساعة تمضى من الليل : يا أهل الدار قوموا يا أهل الدار صلوا ، فقالوا لها : « نحن لا نقوم إلى الفجر ، فجاءت إلى الحسن بن صالح وقالت : بعتنى لقوم ينامون الليل كله وأخاف أن أكسل من شهود نومهم .. فردها الحسن إليه رحمة بها ووفاءً بحقها »[1] البدار البدار يا أخى وليكن لك فى ذلك أسوة .. أتسبقك وأنت رجل نسوة .

(١) صفة الصفوة جـ ٣ ص١٩٥ .